اسم المصدر : البلاد

التاريخ: 12-10-2013 رقم العدد: 1210 رقم الصفحة: 6 مسلسل: 28 رقم القصاصة: 1

التوسعات التاريخية عبر العصور

المسجد النبوي الشريف يحتل مكانة عظيمة في قلوب المسلمين

الرسول الكريم أول من خطط للمسجد فجعل طوله 50 متراً وعرضه 49 متراً

عمر وعثمان من الخلفاء الراشدون الذين أدخلوا توسعات على المسجد

تدشين أكبر توسعة للمسجد النبوي

الشريف في عهد خادم الحرمين الشريفين

اسم المصدر : البلاد

التاريخ: 12-10-2013 رقم العدد: 1210 رقم الصفحة: 6 مسلسل: 28 رقم القصاصة: 2

منى – واس

يحتل المسجد النبوي بالمدينة المنورة مكانة عظيمة في قلوب المسلمين حيث يزوره من يفد إلى هذه البلاد لأداء مناسك الحج والعمرة للصلاة فيه والسلام على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وعلى صاحبيه – رضوان الله عليهما .

وحظيت مدينة الرسول – صلى الله عليه وسلم – هذا العام من منظمة الثقافة والتربية والعلوم الإسلامية (الإسيسكو) باختيارها عاصمة للثقافة الإسلامية .

وشهدت المدينة المنورة أواخر العام الهجري الماضي أكبر توسعة في تاريخ المسجد النبوي الشريف تمثل في وضع خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبد العزيز آل سعود – حفظه الله – حجر الأساس لتصل طاقته الاستيعابية بموجبها إلى مليوني مصل مع نهاية أعمال المشروع بمشيئة الله تعالى .

ومر المسجد النبوي الذي يعد من أكبر المساجد في العالم ، بعدة توسعات عبر التاريخ ، مرورا بعهد الخلفاء الراشدين والدولة الأموية فالعباسية والعثمانية ، وأخيرا في عهد الدولة السعودية حيث شهد توسعات هي الأضخم في تاريخه .

وبعد المسجد النبوي أول مكان في الجزيرة العربية تتم فيه الإضاءة عن طريق استخدام المصابيح الكهربائية عام ١٣٢٧ هـ ، كما يعد ثاني مسجد بناه النبي عليه أفضل الصلاة والسلام في السنة الأولى من الهجرة ، وكانت أرض المسجد مربدا (مكانا لتجفيف التمر) لغلامين يتيمين اسمهما "سهل وسهيل" .

واختط الرسول الكريم أرض المسجد فجعل طوله ٥٠ مترا وعرضه ٤٩ مترا وجعل القبلة إلى بيت المقدس، وحفر أساسه وسقفه بالجريد وجعل عمده جذوع النخل وجعل له ثلاثة أبواب ، باب في مؤخرة المسجد وكان يقال له باب عاتكة أو باب الرحمة وباب جبريل وهو الذي يدخل منه الرسول الأجل ، وجعل في مؤخرة المسجد مكانا مظللا يعرف "بالصفة" ، وهو المكان الذي كان يأوي إليه الغرباء والمساكين.

ولم يسقف الرسول – صلى الله عليه وسلم – كل المسجد، وكان إذا نزل المطر يسيل مختلطا بطين السقف على المصلين ، ولما طلبوا من النبي – عليه أفضل الصلاة والتسليم – أن يزيد الطين على سقفه ، رفض وقال : "لا ، عريش كعريش موسى" ، ولم يكن المسجد مفروشا في بداية أمره ولكنه فرش بالحصى بعد ذلك في السنة الثالثة من الهجرة ،وعندما حولت القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة ، حدث تغيير في المسجد ، إذ تحولت الصفة من الجنوب إلى شمال المسجد ، وأغلق الباب الذي في مؤخرته وفتح باب جديد في شماله، بعد الزيادة النبوية الشريفة ، تمت توسعة المسجد النبوي في عهد الخليفة عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – سنة ١٧ هـ إذ لم يزد الخليفة أبو بكر الصديق – رضي الله عنه – في عهده بالمسجد لانشغاله بحروب الردة ، ولكن في عهد عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – ضاق المسجد بالمصلين لكثرة الناس ، فقام – رضي الله عنه – بشراء الدور التي حول المسجد النبوي الشريف وأدخلها ضمن المسجد ، وكانت توسعته من الجهة الشمالية والجنوبية والغربية ، وبذلك زاد المسجد من ناحية الغرب عشرين ذراعا ، ومن الجهة الجنوبية (القبلة) عشرة أذرع ، ومن الجهة الشمالية ثلاثين ذراعا ، غير أنه لم يزد من جهة الشرق لوجود حجرات أمهات المؤمنين – رضوان الله عليهن أجمعين – فأصبح طول المسجد ١٤٠ ذراعا من الشمال إلى الجنوب، و ١٢٠ ذراعا من الشرق إلى الغرب.

وكان بناؤه – رضي الله عنه – مثل بناء النبي – صلى الله عليه وسلم – فكانت جدرانه من اللبن وأعمدته من جذوع النخيل وسقفه من الجريد بارتفاع ١١ ذراعا، وقد فرشه بالحصباء التي أحضرت من العقيق ،وجعل له سترة بارتفاع ذراعين أو ثلاثة ، وتقدر هذه الزيادة بحوالي ١١٠٠ متر مربع ، وجعل للمسجد ٦ أبواب اثنان من الجهة الشرقية ، واثنان من الجهة الغربية ، واثنان من الجهة الشمالية.

وفي عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان – رضي الله عنه – سنة ٢٩ هـ ضاق المسجد بالمصلين فشكوا إليه ذلك فشاور أهل الرأي من الصحابة في توسعة المسجد النبوي الشريف فاستحسنوا ذلك ووافقوه الرأي فبدأ الخليفة عثمان بتوسعة المسجد، فزاد من جهة القبلة (الجنوب) عشرة أذرع، ومن جهة المغرب ١٠ أذرع ومن الجهة الشمالية ٢٠ ذراعا.

ولم يوسعه من الجهة الشرقية وبقي كما كان على عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه لوجود بيوت أمهات المؤمنين ، وأصبح طوله من الشمال إلى الجنوب ١٧٠ ذراعا ومن الشرق إلى الغرب ١٣٠ ذراعا ، وتقدر هذه الزيادة بحوالي ٤٩٦ مترا مربعا.

واعتنى – رضي الله عنه – ببنائه عناية كبيرة حيث بنى جداره من الحجارة المنقوشة والجص، وجعل أعمدته من الحجارة المنقورة وبداخلها قضبان من الحديد مثبتة بالرصاص ، وسقفه بخشب الساج ، ولم يزد في أبواب المسجد النبوي الشريف بل بقيت كما كانت ستة أبواب بابان من الجهة الشمالية وبابان من الجهة الغربية وبابان من الجهة الشرقية.

ولقد بقي المسجد النبوي الشريف على ما هو عليه بعد زيادة الخليفة عثمان بن عفان – رضي الله عنه – وحتى عهد الوليد بن عبد الملك سنة ٨٨ هـ دون أي زيادة فكتب الوليد إلى واليه على المدينة عمر بن عبد العزيز(٨٦ – ٩٣ هـ) يأمره بشراء الدور التي حول المسجد النبوي الشريف لضمها إلى التوسعة، كما أمره أن يدخل حجرات أمهات المؤمنين في التوسعة، فوسع المسجد النبوي الشريف وأدخل فيه قبر الرسول – صلى الله عليه وسلم – فكانت زيادة الوليد من ثلاثة جهات وهي الشرقية والشمالية والغربية ، وأصبح طول الجدار الجنوبي ٨٤ مترا والجدار الشمالي ٦٨ مترا والغربي ١٠٠ متر ، وتقدر هذه الزيادة بحوالي ٢٣٦٩ مترا مربعا.

وشهدت توسعة الخليفة الأموي الوليد بن عبدالملك لأول مرة بالمسجد النبوي الشريف بناء المنارات ، حيث عمل للمسجد أربع منارات في كل ركن منارة وعملت شرفات في سطح المسجد ، وكذلك عمل محراب مجوف لأول مرة ، حيث لم يكن قبل ذلك المحراب مجوفا .

ولم تحدث أية توسعات في المسجد النبوي الشريف بعد توسعة الوليد ولكن كانت هناك بعض الإصلاحات والترميمات فقط ، ولكن عندما زار الخليفة العباسي المهدي المدينة المنورة في حجه سنة ١٦٠ هـ ، أمر عامله على المدينة جعفر بن سليمان بتوسعة المسجد النبوي الشريف ،وقد دامت مدة التوسعة خمس سنوات .

وكانت توسعته من الجهة الشمالية فقط، وكانت الزيادة بنحو ١٠٠ ذراع، فأصبح طول المسجد ٣٠٠ ذراع وعرضه ٨٠ ذراعا، وعمّره وزخرفه بالفسيفساء وأعمدة الحديد في أسواره ، وتقدر هذه الزيادة بحوالي ٢٤٥ مترا مربعا.

وفي سنة ٦٥٤هـ احترق المسجد النبوي الشريف ، فأسهم في عمارته عدد من الخلفاء والقادة المسلمين، وكان أوّل من أسهم في ذلك آخر الخلفاء العباسيين المستعصم بالله فأرسل من بغداد المؤن والصناع و بدئ في العمل سنة ٦٥٥ هـ ، ثم انتهت الخلافة العباسية بسقوط بغداد في أيدي التتار ، بعدها تبارى ملوك وقادة المسلمين في عمارة المسجد النبوي الشريف.

وعندما شب الحريق الثاني بالمسجد النبوي الشريف سنة ٨٨٦ هـ، استحوذ الحريق على أجزاء كثيرة من سقف المسجد فوصل خبره للسلطان قايتباي حاكم مصر فأرسل المؤن و العمال والمواد فعمره وتم تسقيفه سنة ٨٨٨ هـ ، وبني للمصلى النبوي محرابا كما بني المحراب العثماني في الزيادة القبلية ، وعند بناء القبة الخضراء على الحجرة النبوية الشريفة التي دفن فيها – صلى الله عليه وسلم – ظهر ضيق جهة الشرق فخرجوا بالجدار الشرقي بنحو ذراعين وربع ذراع فيما حاذى ذلك ، وتمت العمارة سنة ٨٩٠ هـ ، وتعد هذه التوسعة هي آخر توسعة جرت إلى العهد العثماني والعهد السعودي، وتقدر هذه التوسعة بحوالي ١٣٠ مترا مربعا .

ولم يطرأ على المسجد النبوي الشريف أي تغيير منذ عمارة السلطان قايتباي لمدة ٣٨٧ سنة ولكن خلال هذه المدة تم عمل الكثير من الإصلاحات والترميمات بمنائر وأبواب المسجد، واستبدال الأعلة التي تعلو المنائر والقبة، وترميم جدران المسجد والكثير من أعمال الإصلاحات اللازمة، ولكن لم يكن هناك هدم كامل وبناء إلا في عهد السلطان عبد المجيد .

وفي سنة ١٢٦٥ هـ أرسل الخليفة العثماني عبد المجيد الثاني الصناع والمهندسين والعمال والمؤن وكل ما يلزم لإعادة تعمير وتوسعة المسجد بأكمله ، فبدأت العمارة لكامل المسجد هـ حيث استغرقت العمارة نحو ١٣ سنة ، وكانت العمارة من الحجر الأحمر من جبل غرب الجماوات بذي الحليفة (والجبل معروف حاليا بجبل الحرم و به آثار تدل على ما أخذ من أحجار للمسجد النبوي الشريف)، حيث استخدمت حجارته لبناء الأعمدة، أما الجدران فكان من حجر البازلت الأسود.

وكانت أضخم العمارات التي جرت في المسجد النبوي الشريف و أتقنها وأجملها حتى ذلك العهد وقد بقي منها بعد العمارة السعودية الجزء القبلي ويبدو هذا الجزء حتى الآن قويا متماسكا ، وأكثر ما يميز هذه العمارة القباب التي حلت بدلا من السقف الخشبي ، حيث سُقف المسجد بالقباب كاملا ، كما زينت بطون هذه القباب بصور طبيعية جذابة كما كتبت في جدار المسجد القبلي سور من القرآن الكريم و أسماء الرسول – صلى الله عليه وسلم – بخط جميل بقلم الثلث ، وذهبت الحروف فكانت زخرفة إسلامية بديعة كما أن أبواب المسجد بنيت بشكل جميل وجذاب .

وتم بناء أعمدة السقف القبلي في موضع جذوع النخل التي كانت في عهد الرسول وزاد السلطان عبد المجيد الكتائيب لتعليم القرآن الكريم والمستودعات من الجهة الشمالية، كما زاد في الجهة الشرقية نحو خمسة أذرع وربع من المنارة الرئيسية إلى ما يلي باب جبريل لضيق المسجد في تلك الموضع ، فيما تقدر تلك التوسعة بحوالي ١٢٩٣ مترا مربعا.

وبعد توحيد المملكة العربية السعودية على يد الملك عبد العزيز آل سعود – رحمه الله – كان من اهتماماته الأولية رعاية شؤون الحرمين الشريفين ، وأجريت عدة إصلاحات للمسجد النبوي الشريف وفي سنة ١٣٦٥هـ لوحظ تصدع في بعض العقود الشمالية وتفتت في بعض حجارة الأعمدة في تلك الجهة بشكل ملفت للنظر، فصدر أمر الملك عبد العزيز بعد دراسة المشروع بإجراء العمارة والتوسعة للمسجد وصرف ما يحتاجه المشروع من نفقات دون قيد أو شرط مع توسيع الطرق حوله .وأعلن الملك عبد العزيز في خطاب رسمي سنة ١٣٦٨ هـ عزمه على توسعة المسجد النبوي الشريف والبدء بالمشروع، وفي سنة ١٣٧٠ هـ بدأت أعمال الهدم للمباني المجاورة للمسجد النبوي الشريف.

وفي ربيع الأول ١٣٧٤هـ احتفل بوضع حجر الأساس للمشروع بحضور ممثلين عن عدد من الدول الإسلامية ، ونظرا لأن عمارة السلطان عبد المجيد كانت في أحسن حال، فضلا عما تتسم به من جمال و إتقان، فقد تقرر الإبقاء على قسم كبير منها، واتجهت التوسعة إلى شمال وشرق وغرب المسجد الشريف.

وانتهت العمارة والتوسعة في سنة ١٣٧٥ هـ في عهد الملك سعود – رحمه الله – وكانت العمارة قوية جميلة رائعة بالأسمنت المسلح ونتج عن هذه التوسعة أن أضيف إلى مسطح المسجد ٦٠٣٣ مترا مربعا، واحتفظ بالقسم القبلي من العمارة المجيدية كما هو وهو ما كان صالحا للبقاء ، وبذلك أصبح مجمل العمارة السعودية ١٢٢٧١ مترا مربعا.وأقيمت التوسعة كمبنى هيكلي من الخرسانة المسلحة، عبارة عن أعمدة تحمل عقودا مدببة، وقسم السقف إلى مسطحات مربعة شكلت على نمط الأسقف الخشبية وزخرفت بأشكال نباتية، وعملت الأعمدة المستديرة تيجان من البرنز وزخرف أيضا، أما المآذن فقد بلغ ارتفاعها ٧٢ مترا تتكون كل واحدة من أربعة طوابق تناسقت في شكلها مع المآذن القديمة للمسجد، كما حليت جدران المسجد بنوافذ جميلة، وجعل للمسجد صحنان مفصولان برواق بدلا من واحد ، وتمت تغطية أرضية المسجد بالرخام ،وأصبح للمسجد النبوي الشريف عشرة أبواب.

وفي عهد الملك فيصل بن عبدالعزيز – رحمه الله – ونظرا لتزايد الأعداد الوافدين للمسجد النبوي خاصة في موسم الحج نتيجة لسهولة المواصلات والتنقل، والراحة التي يلقاها الحاج والزائر في هذه البلاد الطاهرة، حيث وفرت له حكومة المملكة العربية السعودية كل ما يحتاجه من أمن واستقرار وتوفر المتطلبات الأساسية له ، بما جعل توسعة المسجد النبوي الشريف أمرا ضروريا حتى يستوعب هذه الأعداد المتزايدة ، فأصدر الملك فيصل،رحمه الله،أمره بتوسعة المسجد النبوي الشريف، وكانت هذه التوسعة من الجهة الغربية للمسجد النبوي الشريف فقط .وتمثلت التوسعة في إضافة ٢٥ ر ٠٠٠ متر مربع إلى أرض المسجد النبوي الشريف ، ولم تتناول عمارة المسجد نفسها ، بل جهزت تلك المساحة لإقامة مصلىً كبير مظلل ، يتسع لعدد من المصلين يماثل عددهم داخل المسجد ، ثم أضيفت مساحة ٥٥٥٠ مترا مربعا وظللت كذلك ، مما أتاح المجال لاستيعاب أعداد أكثر من المصلين وكان ذلك سنة ١٣٩٥ هـ .

وفي عهد الملك خالد بن عبد العزيز – رحمه الله – حصل حريق في سوق القماشة سنة ١٣٩٧ هـ وهو في الجهة الجنوبية الغربية للمسجد النبوي الشريف ، وتمت إزالة المنطقة وتسوية أرضيتها، وتعويض أصحاب الدور والعقار، وتمت إضافتها لمساحة المسجد ، وبلغت المساحة ٤٣٠٠٠ متر مربع وهو ميدان فسيح مظلل ، وأضيف إلى أرض المسجد النبوي ولم تتناول عمارة المسجد . وقد تم تخصيص جزء منها مواقف للسيارات.

وفي عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز – رحمه الله – أمر بإجراء دراسات لتوسعة كبرى للحرم النبوي ، وكان دافعه إلى ذلك كله أن يكون للحرمين الشريفين قيمة متوازية كما لهما القيمة الروحية العظمى لدى المسلمين في كل مكان في أرجاء العالم الإسلامي ، وفي سنة ١٤٠٥ هـ تم وضع حجر الأساس لمشروع التوسعة للمسجد ،وتضمن مشروع التوسعة وعمارته إضافة مبنى جديد بجانب مبنى المسجد الحالي يحيط ويتصل به من الشمال والشرق والغرب بمساحة قدرها ٠٠٠ ر ٨٢ متر مربع يستوعب ١٦٧ ألف مصل وبذلك تصبح المساحة الإجمالية للمسجد النبوي الشريف ٩٨٥٠٠ متر مربع كما أن سطح التوسعة تم تغطيته بالرخام والمقدرة مساحته بـ ٦٧٠٠٠ متر مربع ليستوعب ٩٠ ألف مصل، وبذلك يكون استيعاب المسجد النبوي الشريف بعد التوسعة لأكثر من ٠٠٠ ر ٢٥٧ مصل ضمن مساحة إجمالية تبلغ ٥٠٠ ر ١٦٥ متر مربع .

وفي عهد خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبدالعزيز آل سعود – حفظه الله – تم تدشين أكبر توسعة للمسجد النبوي الشريف على مدى التاريخ ، إلى جانب مشروع مظلات المسجد النبوي التي أمر بها – أيده الله – وهي من المشاريع العملاقة ، حيث جاء التوجيه بتصنيعها وتركيبها على أعمدة ساحات المسجد النبوي الشريف التي يصل عددها إلى ٢٥٠ مظلة ، لتغطي هذه المظلات مساحة ١٤٣ ألف متر مربع من الساحات المحيطة بالمسجد من جهاته الأربع ليصلي تحت الواحدة منها ما يزيد على ٨٠٠ مصل ، يضاف إلى ذلك تظليل ستة مسارات في الجهة الجنوبية ويسير تحتها الزوار والمصلون . وصنعت هذه المظلات خصيصا لساحات المسجد النبوي على أحدث تقنية وبأعلى ما يمكن من الجودة والإتقان .